

## كيف خدم المتطرفون السنة مخططات الحرس الإيراني

مقتل سليمان سلط الضوء على علاقات خفية ومشبوهة



روابط وثيقة وغير معلنة

اقتضى هذا التصور الغربي صناعة واقع عربي مفكك والسماح لدولة مثل تركيا باحتضان جماعة الإخوان والجهاديين السنة، وغض البصر عن أنشطة إيران التي ترعى التطرف الشيعي لمواصلة إضعاف القوى العربية.

وتسببت تلك الصور في فراغ استراتيجي بالشرق الأوسط وأعلنت واشنطن نفوذ إيران واتاحت حضورا قويا لتنظيمات جهادية متعددة، فلم تكن هناك قاعدة ولا داعش في سوريا قبل تنفيذها على الأرض، وجاء حضورهما بناء على مساعي أطراف الصراع لتحقيق مصالحها من خلال توظيف تلك الخلايا المسلحة في المراكز الدائرة.

تبدلت الاستراتيجيات نظراً لهزيمة التنظيمات التكفيرية وفشل مشروع الإسلام السياسي وتجاوز إيران الخطوط الحمراء في الدول العربية، وهو ما أثر على مصالح أميركا في المنطقة والعالم.

مثل إقدام الأجهزة الأميركية على قتل سليمان خطوة كبيرة بعد فرض العقوبات على طهران، وقبله قتل أبو بكر البغدادي، على طريق تغيير المعادلات وتفكيك بنية التنظيمات الإرهابية المتشابكة، لإجبار إيران على القبول بالواقع الجديد الذي تحاول الإدارة الجمهورية فرضه، والأهم أن مقتل سليمان والبغدادي سوف يظل ضربة نوعية لعموم تيارات الإرهاب السني والشيعي في المنطقة.

للدول الأوروبية، وهذا لم يكن مسؤوليته الدول العربية وحدها، فمن بعث في الفكر التكفيري الحياة وضاعف من قوة تنظيماته وحولها لشبكات أخطبوطية مترابطة المصالح رغم اختلافها المذهبي والفكري هو الدعم الجارحي القادم من قوى إقليمية لديها مشاريع توسعية صريحة بالداخل العربي.

تبدو مرحلة الرئيس الأميركي دونالد ترام مفصلية بين واقعين مختلفين في ما يتعلق بأوضاع التنظيمات الإرهابية وداعميها، حيث ساد قبله التسامح مع حقيقة كارثية وهي ارتباط تنظيمات متطرفة وإرهابية سننية بإيران تمويلاً وتسليحاً، واستفادة التنظيمات الشيعية والسنية من بعضهما لتوفير بيئة طائفية حاضنة لأنشطتهما.

ونشط الإرهاب السني والشيعي، وقدمت الميليشيات الشيعية في العديد من الدول العربية نفسها كمحاربة للإرهاب السني، بينما زعم داعش أنه يحيى السنة من اضطهاد الشيعة وتغول ميليشياتها. غصت الولايات المتحدة في عهد الرئيس السابق باراك أوباما بصرفها عن تدخل تركيا العسكري في سوريا والعراق، وسحقت قبل ذلك إيران بالسيطرة على شؤون العراق ومررت بنشاطها السياسي والعسكري المتصاعد في المنطقة العربية، بهدف تمكين النموذج الديني لشرعنة حضور إسرائيل كدولة دينية.

العالم نابع من الدول العربية السننية، وأنه من الممكن القضاء على الإرهاب بالتركيز على التنظيمات التكفيرية السننية، وإغفال أنشطة إيران وممارسات الميليشيات الشيعية في المنطقة. مسوغ هذا التصور لدى من اعتنقوه وصول أنشطة التنظيمات الإرهابية السننية، مثل داعش والقاعدة، إلى خارج حدود دولها واستهدافها الداخلي الأوروبي والأميركي، بينما لا ينطبق ذلك على الميليشيات الشيعية الموالية لإيران التي تركز عملياتها في المنطقة العربية ولا تستهدف الغرب بشكل مباشر.

## تأجيج الصراعات المذهبية

واضح أن استشرء الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط وبكافة أنحاء العالم، ليس كما توهمت الدول الكبرى نتيجة لطبيعة المجتمعات العربية السننية المفرخة للأفكار المتطرفة، بل هو ناتج عن خلط الأوراق وتأجيج الصراعات المذهبية وتوظيف تنظيمات سننية وشيعية متطرفة بالداخل العربي في مشاريع توسعية لحساب مصالح قوى غير عربية، مثل إيران وتركيا.

أدى انفجار الأوضاع داخل بعض الدول العربية ودخول بعضها في حروب أهلية مفتوحة، إلى هروب أعداد هائلة من مواطنيها وطلبها اللجوء

لنهج القاعدة والذي أعلن عن تبني تنفيذ بعض العمليات الرمزية في قلب إيران، الاستفادة من باب التمايز وتوظيف الخلاف المذهبي لخلق مبررات للحضور والتوسع داخل المجتمعات السننية التي تعاني من الاضطهاد الطائفي، وتبحث عمن يقبضها من التمدد الميليشياوي الشيعي، ما خدم إيران التي قدمت نفسها أمام العالم كمنافس للإرهاب السني.

في جميع الأحوال خاصة بمنطقة الشرق الأوسط، والسائد حالياً إظهار الخوف من عودة تنظيم داعش لسابق عهده في العراق وسوريا، نتيجة اشتغال الولايات المتحدة بصراع طرأ على الساحة في مواجهة النفوذ الإيراني والتمسطة ميليشياتها المسلحة بالمنطقة العربية.

هذا التصور الخاطئ مبني على وهم استمر لفترة طويلة واعتنقه قوى كبرى في مقدمتها الولايات المتحدة، ومفاده أن الإرهاب بمنطقة الشرق الأوسط هو سني الهوية والمصدر، وأن أصل الإرهاب في

العالم نابع من الدول العربية السننية، وأنه من الممكن القضاء على الإرهاب بالتركيز على التنظيمات التكفيرية السننية، وإغفال أنشطة إيران وممارسات الميليشيات الشيعية في المنطقة. مسوغ هذا التصور لدى من اعتنقوه وصول أنشطة التنظيمات الإرهابية السننية، مثل داعش والقاعدة، إلى خارج حدود دولها واستهدافها الداخلي الأوروبي والأميركي، بينما لا ينطبق ذلك على الميليشيات الشيعية الموالية لإيران التي تركز عملياتها في المنطقة العربية ولا تستهدف الغرب بشكل مباشر.

العلاقة بين إيران الشيعية والكثير من التنظيمات الجهادية السننية ظلت قائمة لفترة طويلة، ومتناحرة في الظاهر ومتحالفة في الباطن، حتى بدت تجليات عديدة لنوعية العلاقة تتوالى، لتؤكد أن هناك مصالح كبيرة متبادلة بين الجانبين، تمنح لكل طرف فرصة لتحقيق الأهداف بالطريقة التي يريدها.

منفصلون عن تنظيماتهم استغلوا الحدث لإعلان البراءة من التعاون مع الميليشيات الشيعية، فيما أجمعت الحسابات المؤيدة لداعش عن ابتهاجها بالحدث.

هشام النجار  
كاتب مصري

لم يعد التيقن من علاقة طهران بعدد من التنظيمات السننية المتطرفة، محل نقاش، فقد وجد كل طرف في الآخر شيئاً حيوياً مما يريده، وبصورة عمقت الروابط بينهما، وخلق شبكة جيدة من المصالح استفاد منها الطرفان.

## تحالف براغماتي

يوحى ما يطفو على السطح للبعض بأنه دلالة على انقسام عميق داخل التنظيمات الجهادية السننية، لكنها لا

تعدو مجرد ملامسات غرضها التوظيف الإعلامي والسياسي. فالانقسام بشأن الموقف من موت محمد مرسي القيادي الإخواني السابق الذي تولى حكم مصر لمدة عام عندما خرج أبو قتادة الفلسطيني مترحماً عليه، بينما أعلن أبو محمد المقدسي تبرؤ منه، لم يؤثر في حقيقة وجود تنسيق على مختلف المستويات بين جماعة الإخوان وتنظيم القاعدة.

ولا يعكس خروج البعض من القيادات المنفصلة عن القاعدة متهمة بمقتل سليمان قاسم سليمان في 3 يناير الماضي مدى تدخل أنشطة التنظيمات المسلحة السننية والشيعية، لا في الشرق الأوسط فحسب بل في مناطق بعيدة. أعربت حركة طالبان الأفغانية عن

حزنها لمقتل سليمان، واصفة الهجوم الأميركي عليه بـ"الهجمي". وسبقت حركة الشباب الصومالية الحرس الثوري الإيراني في الثأر لسليمان وتبنت هجوماً ضد قاعدة أميركية في كينيا.

## ردود فعل الجهاديين السنة على مقتل قاسم سليمان عكست مدى تداخل نشاطات التنظيمات السننية والشيعية

وفي ظل صمت القادة الفعليين لهيئة تحرير الشام، خرجت قيادات منفصلة عن الهيئة معربة عن ابتهاجها بالحدث وتصويره كما لو كان انتقاماً لأهل السنة في الشام، فقد وصف عبدالله المحيبي الحدث أثناء إلقائه خطبة الجمعة التالية في إدلب بالبشرى العظيمة للمسلمين ولأهل الشام خاصة، وإباح أبو اليقظان المصري الفتى الشرعي السابق بهيئة تحرير الشام الفرح لمقتل سليمان حتى لو تم قتله على يد الأعداء.

يعود تنوع ردود أفعال أجنحة تنظيم القاعدة إلى طبيعة نشاط البعض منها في الوقت الحالي، فمن كان لا يزال مستفيداً من الدعم المادي البسول من قيادات الحرس الثوري أقر السكوت أو أعلن تنديده بالعلمية، وهناك مستقلون

## كتاب عن الحركات الإسلامية في فرنسا يرسم خارطة الغزو الأصولي

والشابات للمشاركة في القتال في البؤر الساخنة مثل العراق وسوريا. لذلك وصفها هوغو ميشرون بـ"مصنع الجهاد المقدس". وكان عبد القادر الشانالي الذي كان من أخطر العناصر التابعة للحركات

الجهادية في الجزائر، والذي قدم إلى فرنسا في أواخر التسعينات أول من زرع الأفكار الجهادية في تولوز ليتأثر بها محمد مراح مرتكب مجزرة تولوز. وفي شهر مارس 2017، قام إمام مقیم

بضواحي مدينة ليون الفرنسية بدعوة المهاجرين إلى عدم الاختلاط بالكفار لأن ذلك "يقدم أصولهم وهويتهم الدينية"، فيكونون "أعداء الإسلام" حتى ولو حافظوا على أداء فروضهم. كما حذر هذا

الإمام من الزواج من الفرنسيات لأن هذا الزواج سوف يكون خطراً على الأبناء مستقبلاً. وفي أبحاث أخرى نقرأ أن أغلب الذين انجذبوا في فرنسا إلى الحركات

الأصولية المتطرفة كانوا في فترة ما من المنحرفين، ومن مرتكبي جرائم حوكموا بسببها، وأمضوا سنوات في السجن. وهذا كان حال شريف كواشي، العقل

المدير لمجزرة جريدة "شارلي إبدو" في شتاء 2015.

المهاجرون المسلمون محافظين على معتقداتهم، رافضين لنقافة ونمط الحياة في البلدان التي فيها يقيمون، متمتعين بجنسياتها، ومتكلمين لغتها.

وفي الكتاب أبحاث ميدانية أنجزت في الأحياء التي يكثر فيها عدد المهاجرين من أصول مغربية تحديداً، وفي هذه الأحياء

توصل دعاة متطرفون إلى نشر أفكارهم من خلال المساجد، ومن خلال منشورات تترصد على الجهاد المقدس ضد الكفار واليهود. وتعتبر مدينة تولوز من أكثر

المدن الفرنسية تأثراً بمختلف الأفكار الأصولية المتطرفة. ومن أحيائها الفقيرة انطلق العديد من الشبان

أربعة تيارات أصولية متمثلة في حركة الإخوان المسلمين التي لها انتصار في فرنسا، والسلفية، وحركة التي ظهرت في الهند في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي، وتسربت إلى فرنسا انطلاقاً من الستينات من القرن ذاته، والجهادية التي ولدتها الحرب في أفغانستان.

ويرى المؤلفون أن الحركات الأربع المذكورة تختلف في ما بينها لكنها تتوحد في مواجهة ما تسميه بـ"الأعداء الخارجيين" المتمثلين في اللائكية وفي الحركات النسوية العلمانية الداعية إلى

وجاء في مقدمة الكتاب أن ظاهرة الحركات الأصولية الإسلامية التي برزت في بلدان الشرق، وفي بلدان المغرب العربي قبل نحو أربعين سنة، والتي امتدت إلى أوروبا قبل عقدين، لم يتم

إلى حد الآن البحث فيها ودراستها بشكل يتناسب وحجمها وقضاياها وتعقيداتها مقارنة ببريطانيا وألمانيا وبالولايات المتحدة التي ازداد فيها الاهتمام بالحركات المذكورة بعد ضربة

11 سبتمبر 2001. كما أن الدراسات الميدانية لا تزال ضئيلة ولا تكاد تفي بالحاجة بسبب ندرة المختصين والباحثين. ويضيف كاتب المقدمة

قائلاً بأن جل الأبحاث والدراسات التي تضمنها الكتاب تهدف إلى إثارة الأسباب التي أدت إلى توصل الحركات الأصولية إلى غزو ضواحي باريس والمدن الفرنسية الكبيرة، والتغلغل في أوساط الشباب المنتمى إلى الجيل الثالث والرابع من المهاجرين، وإلى فرض أفكارها المتطرفة المحرّضة على العنف، وعلى "الجهاد المقدس".

ومن خلال الدراسات والأبحاث المنشورة في الكتاب المذكور، نتبين أن المؤلفين ركزوا اهتماماتهم على

منذ بداية التسعينات من القرن الماضي، تزامناً مع اندلاع النزاع بين النظام الجزائري ومختلف التيارات الإسلامية تمهيداً لما أصبح يسمى بـ"سنوات الجمر"، أو "السنوات السوداء". أصبح الإسلام بجميع قضاياه

المتصلة خصوصاً بالعنف، والجهاد المقدس، والحجاب والنقاب، وغير ذلك يشغل حيزاً واسعاً وهاماً في الجدل الاجتماعي والسياسي والثقافي والفكري والديني في فرنسا، بل وغالباً ما يكون في قلب المعارك التي تدور بين النخب السياسية، والفكرية.

الانضمام إلى الحركات الأصولية المتطرفة، مثل القاعدة وداعش، مرتكبين مجازر فظيعة في سوريا، وفي العراق، وفي مناطق أخرى من العالم.

ومطلع العام الحالي، صدر عن دار PUF المرموقة كتاب يحمل عنوان "المناطق التي غزت الأصولية الإسلامية". وقد أشرف على هذا الكتاب الذي تضمن العديد من الدراسات التحليلية بأقلام علماء اجتماع، وباحثين في قضايا الإسلام، بارنار روجيه وهو

أستاذ في جامعة السربون الجديدة، ومدير للدراسات العربية والشرقية، وهوغو ميشرون، الأستاذ في دار المعلمين العليا الذي يشغل كرسي الشرق الأوسط المتوسطي.

صدرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، عن كبريات دور النشر في باريس، العديد من الكتب المهمة بمختلف قضايا الإسلام السياسي خصوصاً بعد أن غزت الأفكار الأصولية المتطرفة ضواحي العاصمة والمدن الكبيرة حيث يكثر عدد المهاجرين القادمين من بلدان المغرب العربي، لتستقبل شباناً وشابات يتمتعون

بالجنسية الفرنسية إلا أنهم لا يترددون في ارتكاب أعمال إرهابية ذهب ضحاياها العشرات من الأبرياء، ولا في

حسونة المصباحي  
كاتب تونسي

صدرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، عن كبريات دور النشر في باريس، العديد من الكتب المهمة بمختلف قضايا الإسلام السياسي خصوصاً بعد أن غزت الأفكار الأصولية المتطرفة ضواحي العاصمة والمدن الكبيرة حيث يكثر عدد المهاجرين القادمين من بلدان المغرب العربي، لتستقبل شباناً وشابات يتمتعون بالجنسية الفرنسية إلا أنهم لا يترددون في ارتكاب أعمال إرهابية ذهب ضحاياها العشرات من الأبرياء، ولا في